المباني الأثرية ومعايير إعادة استخدامها بما يتناسب مع القيمة الحضارية للمكان والقيمة الاقتصادية للزمان مدينة إب القديمة كحالة دراسية

د/ محمد أحمد حسن الحدأ

أستاذ قسم العمارة المساعد – كلية الهندسة والعمارة – جامعة إب

١. المقدمة :

إن الحديث عن المباني الأثرية في إب هو حديث عن العمارة التقليدية، عن التاريخ والآثار وعن الإنسان، فالمباني الأثرية هي الشاهد المادي لما كانت عليه مدينة إب منذ عهود قديمة والمباني الأثرية قد لا تكون بالمستوى المبهر أو الصورة التي يرسمها البعض عنها ، ولكنها نتاج ثقافي من صنع إنسان هذه المدينة ومن تاريخه ، ومن السياق الذي وجد فيه والذي يستحيل تكراره ، ومن هنا تنبع قيمته . وتعتبر المباني الأثرية مادة خصبة للأفكار المعمارية لبض المعماريين والمهندسين الذي يستنبطون أفكارهم من الماضي لمحاكاة الحاضر والمستقبل ، وهي منبع غزير للكتاب الذين يرسمون صور الحياة فيما مضى وهي مادة مهمة للمهتمين في القطاع السياحي كمصدر للتعرف على التاريخ الثقافي والحضاري (الجواهرة ،١٤٢٣هـ) ، وتعد مدينة إب القديمة من المدن الغنية بتراثها العمراني المتمثل في العديد من المباني الأثرية والتاريخية كالمساجد والمدارس العلمية الإسلامية والسماسر والأسواق بالإضافة إلى دورها الفخمة ومساكنها الجميلة وسورها الذي يحيط بها ويحميها ، وقد تميزت هذه المباني عن غيرها من المنشات الحضارية الأخرى أنها لا تتواجد بشكل منفرد بل تجمعت هذه المباني داخل أطار النسيج العمراني الشامل لمدينة إب القديمة الذي يمثل وحدة عمرانية متماسكة ومنسجمة تنبض بالعراقة والسحر والجمال والروعة . ونتيجة لطبيعة التطورات التي صاحبت قيام الثورة المباركة عام ١٩٦٢م وما فرضته المستجدات الحادثة الآن بالمجتمع ،تعرضت المباني الأثرية في مدينة إب القديمة لمخاطر حقيقية تهددها بالفناء ، فقد أغلقت أجمل البيوت وأهملت الدور الفخمة وتعرضت بعض المنشات الأثرية الأخرى مثل المدارس و السماسر والأبراج الدفاعية للإهمال بسبب فقدانها لوظيفتها التي بنيت من أجلها ، ونتيجة لهذا الإهمال تعرضت هذه المنشات الأثرية للتلف والتساقط التدريجي وفقدت قيمتها الأثرية كما فقدت من قبل قيمتها الوظيفية ، وهذا يقلل كثيراً من الطابع العام لمدينة إب القديمة ويفقد تراثها العمراني كثيراً من عناصره . ولهذا جاءت هذه الدراسة بهدف أعادة استخدام المباني الأثرية التي توقف استخدامها في مدينة إب القديمة وتوظيفها بما يخدم حاجة المدينة سواء في طابعها الحضاري أو حاجة المجتمع لها وكذا محاولة متواضعة لوضع بعض القواعد والمعايير التي تنظم ذلك استنتاجاً من

دراسات ميدانية وتجارب سابقة . لمباني أثرية أعيد استخدامها وتوظيفها في مدن عربية وإسلامية وعالمية .

٢. إب القديمة المدينة الأثرية

مدينة إب إحدى المدن اليمنية وعاصمة لمحافظة إب السياحية ذات التاريخ العريق والمواقع الأثرية الشاهدة على حضارتها الأصيلة ، وتقع مدينة إب القديمة على ربوة عالية من السفح الغربي لجبل ريمان – بعدان وترتفع عن مستوى سطح البحر حوالي (٢٠٠٠متراً) وتحتل مساحة تقدر بـ١٤٠, ١٣هكتار يحيط بها من الشمال وادي السحول ومن الغرب وادي الظهار ومن الجنوب وادي ميتم (الموسوعة اليمنية ،٢٠٠٣م) ، وقد اختلفت المصادر في أصل تسمية مدينة إب فقد ذكر ياقوت الحموي في كتابه معجم البلدان إن اسم المدينة هو أب: بالفتح والتشديد ،كذا قال أبو سعيد، والأب هو الزرع في قوله تعالى: (وفاكهة وأباً) وهي بليدة اليمن ، ينسب إليها أبو محمد عبدا لله بن الحسن بن الضياف الهاشمي ، وقال أبن سلفه : إب بكسر الهمزة وكذا يقول أهل اليمن بالكسر ولا يعرفون الفتح ، من جانب أخر يرى بعض الباحثين إن مدينة إب حميرية الأصل ، وان أسمها جاء على سياق أسماء المدن الأخرى التي أتسمت بأسماء ملوك اليمن القدماء ، يقول المورخ اليمني / محمد يحي الحداد إن مدينة إب الحالية قديمة قبل الإسلام إذ لم يعرف من أختطها ولا تاريخ اختطاطها ومن الجائز إن تكون قد سميت باسم أحد الملوك اليمنيين قبل الإسلام (إب تبع) و(إب كرب اسعد) و بها أثار تعود إلى عصر ما قبل الإسلام مثل (الدار البيضاء) وهو دار ضخم تهدم معظمه سمي بالبيضاء نسبة إلى البيضاء بنت شمر يهرعش . كما إن مدينة إب قد برزت في العصر الإسلامي كمدينة إسلامية وقد أشار القاضي " الأكوع " بقوله ((إن مدينة إب لم تذكر في الأخبار والأدب الإ في أخر القرن الرابع الهجري – العاشر الميلادي حين هاجمها الأمير عبدا لله بن قحطان الحوالي عام (٣٨٠هـ) وكانت قبل ذلك قرية مسورة ولها من الآثار سورها وجامعها الذي يعود تاريخه إلى عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب وأسس بأمر منه رضي الله عنه ومازال يسمى إلى اليوم بالجامع الخطابي (الأدهمي ،٢٠٠٦م) ، كما ورد ذكر مدينة إب في كتاب (وصف بلاد العرب) للرحالة الدنماركي كارستون نيبور الذي زار مدينة إب في شهر أغسطس من عام ١٧٦٣م ووصفها بقوله أنها مدينة تقع في قمة مرتفع يحيط بها سور وأبراج وبيوتها مبنية من الأحجار وطرقها مرصوفة ولا يزيد عدد بيوتها عن خمسمائة بيت وبها عدد من المساجد ، كما ذكرت مدينة إب في كتاب (ملوك العرب) لأمين الريحاني أثنا رحلته إلى مدينة إب عام ١٩٢٢م ، أما الشيخ عبد العزيز الثعالبي فقد وصف مدينة إب خلال زيارته لها عام ١٩٢٤م فقال " هي مدينة مبنية بالحجارة وأكثر دورها متشابه وبناءها مؤلف من عدة طبقات أكثرها أربع وأقلها طبقتان طرقاتها معوجة وضيقة وعليها سور ضخم له أربعة أبواب وفيها أبنية عمومية كثيرة وفيها من المساجد فقط (٣٢مسجداً) منها المسجد الجامع ويتسع لـ (٥٠٠٠) خمسة ألف مصلي (الأدهمي ،٢٠٠٦م) ولم تشهد مدينة إب.أي تحول ملموس حتى قيام الثورة عام ١٩٦٢م حيث بدأ الناس يبنون خارج سور المدينة وفتحت فيه الممرات التي تربط شوارع المدينة القديمة بالامتداد العمراني الجديد .

٣. أهم المباني الأثرية في مدينة إب القديمة

تعد مدينة إب القديمة من المدن الغنية بوحداتها التاريخية وبالأثر الجمالي النادر لفن العمارة والبناء فالمنازل والدور بتفاصيلها المعمارية وأسلوبها الزخرفي ومواد بنائها المميزة ، والمنشآت الأخرى من أسواق و سماسر ومدارس ومساجد وموروث ثقافي متنوع وصناعات حرفية تقليدية متميزة (شكل رقم ١) كل هذا قد جعل من مدينة إب القديمة مقصداً سياحياً محلياً وعالمياً في أغلب أوقات السنة (د ليل مدينة إب القديمة ،٢٠٠٥) .

من أهم المباني الأثرية في مدينة إب القديمة التالي :

٣. ١- المساجد

الجامع الكبير(العمري) – مسجد الكاظمي – مسجد البيحاني – مسجد سيف السنة أحمد البريهي – مسجد الأسدية

٣. ٢- المدارس الإسلامية

مدرسة الجلالية العليا – مدرسة الجلالية السفلى – مدرسة المشنة – مدرسة الصبان – مدرسة الأسدية

٣. ٣- الدور (القصور)

دار الملك – دار الفر ناج – دار الحمام – دار البيضاء – دار خان– دار عقيل – دار الديدبان – دار منير– دار الواسطة .

٣. ٤- الأسواق

سوق الملح – سوق الجنابي – سوق الطعام – سوق المعطارة – سوق اللحمة – سوق المزاينة ،

٣. ٥- السماسر

سمسرة الخانا الأعلى – سمسرة الصنعاني– سمسرة الخان الأسفل – سمسرة خان فارس – سمسرة الشونة – سمسرة الجلالية، كما تضم مدينة إب القديمة العديد من المنشات الأثرية الأخرى مثل الحمام العام، ساقية المياه وبقايا من سورها الجميل الذي يتخلله عدد من الأبواب وأبراج الحراسة (النوب) وتحمل هذه المباني الأثرية في طياتها تاريخ الماضي وأحداثه وفنونه وإبداعاته فإن نحن أهملناها تساقطت واندثرت وخسرنا بذلك كنزاً ثميناً لا يتكرر وإن نحن تعهدنا ها بالحفظ والإحياء نكون بذلك قد خدمنا تراثنا وانتفع الناس به حاضراً ومستقبلاً .

٤. مفهوم التوظيف والإحياء

تعني كلمة التوظيف أعادة استخدام المباني الأثرية الذي توقفت استخدامها. في وظيفة قد تكون وظيفتها الأصلية ، أو وظيفة مشابهة ، أو حتى في وظيفة حديثه تحتاجها المدينة وتخدمها وعملية التوظيف هذه تعتبر أحد عناصر الإحياء للمباني الأثرية ذلك الإحياء الذي يتسع مضمونه لكي يشمل أعمال الترميم اللازمة للمباني الأثرية حفاظاً على قيمته الفنية والمعمارية ثم إحياء لوظيفته القديمة أو ما يشابهها ، أي تأهيله لكي تتوافق مع الشكل والواقع للمدينة التاريخية . (محمود البناء ، ١٩٩٣)

٥. دراسة تجارب سابقة لمباني أثرية أعيد استخدامها وتوظيفها في أطار مدن عربية وإسلامية

أولاً : في مدينة صنعاء القديمة – اليمن

حظيت كثير من المباني الأثرية في مدينة صنعاء القديمة بترميمها وإصلاحها ثم إعادة استخدامها ومن ذلك :

١- سمسرة المنصورة : تقع في مركز مدينة صنعاء القديمة(منطقة السوق) وقد أعيد استخدام هذه السمسرة بعد ترميمها " مركزاً وطنياً للفنون " يقوم بالعرض فيها الفنانين اليمنيين التشكيليين وغيرهم منذ عام ١٩٩٣م (صورة رقم ١)

٢- سمسرة النحاس : تقع في منطقة سوق الملح ، وقد أُعد لترميمها دراسة مستفيضة قام بها خبير اليونسكو Giancarlo Barbato ، وذلك في إطار الحملة الدولية لصيانة مدينة صنعاء القديمة ، ووظفت السمسرة "مركز وطني لتطوير الحرف اليدوية " . (صورة رقم ٢)

٣- منزل مطهر الفليحي : يقع في حارة الفليحي ويعتبر من المنازل الكبيرة بمدينة صنعاء القديمة ويحف بالزخارف التقليدية الجميلة ، وحالياً تستأجره الهيئة العامة للمحافظة على المدن التاريخية بمدينة صنعاء القديمة وذلك باستخدامه مركز تعليمي لخدمة المجتمع (مشغل لعمال الخياطة والتطريز)(صورة رقم ٣)

٤- دار السعادة : يقع في ميدان التحرير بالقرب من باب السباح أحد أبواب مدينة صنعاء القديمة ويرجع تاريخ بنائه إلى فترة الحكم العثماني الثانية باليمن وكان يستخدم الطابق الأول منه مستشفى للعثمانيين ، ثم سكنها الإمام يحي حميد الدين والعائلة الحاكمة حتى عام ١٩٦٢م بعد إضافة باقي الطوابق والبوابات في عهد الأمامة وقد أعيد ترميمه واستخدامه كمتحف وطني للجمهورية اليمنية يضم الآثار المختلفة المنقولة والتي تغطي تقريباً فترات التاريخ اليمني القديم منه والإسلامي . وقد اختيرت هذه الدار لهذه الوظيفة نظراً لحجمها الكبير وفراغاتها المناسبة وموقعها المتميز .

٥- دار الشكر : مقر أقامة الأمام يحي حميد الدين ١٩٣٢م وهي مجاورة تقريباً لدار السعادة وقد وظفت الدار بعد ترميمها متحفاً للموروث الشعبي ، من صناعات حرفية تقليدية وعادات وتقاليد محلية متوارثة .

٦- دار الحجر : دار جميلة مشهورة بنيت في أواخر القرن الثامن عشر الميلادي على صخرة عظيمة مرتفعة على سفح (وادي ظهر) شمال غرب مدينة صنعاء (صورة رقم ٤) وقد أضاف في البناء وعمر مفرجها الحالي الأمام يحي حميد الدين وهي الآن من أملاك الدولة وقد أعيد استخدامها وتوظيفها بعد ترميمها " مركز سياحي " تابع لمؤسسة السياحة (الموسوعة اليمنية ،٢٠٠٣) .

ثانياً : في مدن عربية وإسلامية

لم تكن مدينة صنعاء القديمة في اليمن النموذج الأوحد في هذا المجال ، رغم التجارب العديدة التي تم تنفيذها لها في مجال إعادة استخدام وتوظيف المباني الأثرية التي توقف استخدامها فقد كان أعادة الاستخدام لتلك المباني قاسماً مشتركاً في كثير من المدن العربية والإسلامية ومن ذلك :

١. في مدينة القاهرة – مصر

أ- قصر الأمير عمرو إبراهيم بالزمالك – القاهرة : وقد بني هذا القصر في سنة ١٩٢٤م بمساحة مبنية

٨٧٤م٢ ، وحديقة مساحتها ٣٥٥٩م٢ ، والمبنى مشيد على طراز العمارة الإسلامية من طابقين بخلاف الدور تحت الأرض وهذا الدار يحف بالزخارف الجميلة على الطراز التركي أعيد استخدام القصر في عام ١٩٧٩م كمجمع للفنون تحت أسم مجمع الجزيرة للفنون في سنة ١٩٨٨م بداء العمل في المرحلة الأولى من مشروع تطوير وتحديث تقنيات مركز الجزيرة للفنون تم تحويله إلى متحف للخزف الإسلامي إلى جانب قاعات عرض للفنون التشكيلية ، ومسرح مكشوف ، إضافة إلى قاعة سينما ومكتبة(محمد حسن ،١٩٩٦) .

ب- قصر الطحاوي : أنشئ في بداية العشرينيات من القرن العشرين وقد أعيد استخدامه وتوظيفه مكتبة عامة (مكتبة مبارك العامة) وقد صاحب هذا التوظيف تعديلات في المساحات الداخلية لكي تتناسب مع الوظيفة الجديدة.

جـ - قصر سراي الجزيرة: والذي بني في سنة ١٨٦٩م بمناسبة افتتاح قناة السويس لإقامة كبار الزوار ثم أصبح بعد ذلك مقراً رسمياً لإقامة الخديو إسماعيل وفي عام ١٩٦١م آلت ملكية القصر بكل محتوياته إلى أحدى الشركات المصرية العاملة في مجال السياحة و الفندقه والتي حولت إلى فندق عمر الخيام . وقد صاحب هذه الوظيفة أحداث تعديلات جوهرية بالقصر لكي تتناسب مع وظيفة الفندق سواء للسقف أو إزالة حوائط أو استحداث أعمده .

٢. في مدينة دمشق القديمة – سوريا

أ- قصر العظم : يقع القصر وسط مدينة دمشق القديمة وتبلغ مساحته (٥٥٠٠م٢) أمر بناء هذا القصر والي الشام أسعد باشا العظم سنة ١٧٤٩م ليكون مقراً لسكنه وتميز القصر بالبساطة في المظهر الخارجي والغني بالزخارف الرائعة للواجهات الداخلية والفناء بالزخارف الرائعة . في عام ١٩٥٣م أجريت عليه بعض الترميمات الضرورية وزود بالتجهيزات اللازمة لتحويله إلى متحف للتقاليد الشعبية والصناعات اليدوية اعتبارا من أيلول ١٩٥٤م (صورة رقم ٥) .

ب - التكية السليمانية : بنيت في عهد السلطان سليمان القانوني عام ١٥٢٠م أجريت عليها بعض الترميمات وتحويلها إلى سوق سياحية للصناعات اليدوية (زجاج ، فخار، موازيك ، صدف ، حلي ، نسيج الدامسكو). (ديوب ،٢٠٠٢)

٣. في مدينة الدوحة – قطر

ضمن التخطيط المحدد للصيانة كان أجراء التأهيل وإعادة الاستخدام الكثير من المباني الأثرية من ذلك :

أ- القصر القديم : أمر ببناء القصر الشيخ عبدالله بن جاسم بن محمد آل ثاني في العقد الأول من القرن العشرين وفي أواخر عام ١٩٧٢م أمر الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني بترميم القصر وتحويله إلى متحف وطني يضم ثروات قطر والجزيرة العربية .(صورة رقم ٦)

ب- بيت محمد سعيد نصر الله : بني هذا البيت في الربع الأول من القرن الرابع عشر الهجري اشترته الدولة في عام ١٩٧٨م ، تم ترميم البيت وتجديده واستخدامه كمتحف للتقاليد الشعبية .

جـ- قلعة الكوت : يرجح أنها شيدت عام ١٩٢٥م في عهد الشيخ عبدالله بن جاسم آل ثاني في عام ١٩٨٧م قام قسم صيانة المباني بوزارة الأشغال العامة في قطر بتجديد القلعة وإضافة العديد من الزخارف الجصيه التي لم تكن أصلاً موجودة من قبل وفي عام ١٩٨٥م تم افتتاح القلعة رسمياً كمعرض للحرف والفنون الجميلة . (الخليفي ، ١٩٩٠)

٤. في مدينة اسطنبول – تركيا

تم توظيف الكثير من المباني الأثرية بمدينة اسطنبول – سواء كان توظيفاً سياحياً أو توظيفاً له علاقة بالتراث ومن ذلك :

أ- كنيسة سانت أيرين : يعود تاريخها إلى القرن الثامن الميلادي وتقع في محيط قصر "طوبقاي" تم ترميمها وإعادة توظيفها في وظيفة تليق وتتفق مع طابعها الرائع معمارياً وفنياً وهو مكان للاحتفالات الموسيقية الدولية أو احتفالات البينالي للفنون المعاصرة .

ب- توظيف كنيسة أيا صوفيا كمزار سياحي ، وتوظيف مدرسة محمد افندي " مركزاً للفنون اليدوية . (السيد أبو محمد ،١٩٩٩)

ثالثاً : في مدن عالمية

١. في مدينة سبليت يوغسلافيا

تم توظيف البرج الجنوبي لقصر دايو كليشيان : الذي يتوسط مدينة سبليت (**Split**) بيوغسلافيا سابقاً تلك المدينة التي تمثل كياناً حضرياً ، ذو قيمة تاريخية كقاعة للمحاضرات .

٢. في مدينة Connectictit - الولايات المتحدة الأمريكية

تم أعادة استخدام مبنى سكني : وهذا المبنى يقع بمدينة **Connectictit** بالولايات المتحدة الأمريكية في عام ١٧٦٩م وهو من أمثلة عمارة المستعمرات في الولايات المتحدة وقد استخدم هذا المبنى للسكن حتى نهاية القرن ١٩م ثم توظيفه في أوائل القرن العشرين مدرسة خاصة للبنات ثم مبنى سكني بعد سنوات ، ثم بعد فترة من الإهمال أعيد استخدامه فرعاً لبنك سنة ١٩٧٣م . وقد صاحب عملية الاستخدام عمل ترميمات مختلفة وكذلك تعديلات بالمبنى ليتوافق مع متطلبات كل وظيفة.

٣. في مدينة جاكرتا - بأندونيسيا

استكمالاً لخطوات التأهيل للمباني الأثرية المحيطة بميدان Taman fatahilla ، فقد تم توظيف القصر الرئيسي في هذه المنطقة متحفاً لمدينة جاكرتا كما إن كثيراً من المباني المحيطة بهذا الميدان قد وظفت إما متحفاً للصور الزيتية والسيراميك ، أو متحفاً للعرائس ذلك الفن القديم باندونيسيا والذي لا يزال سائداً إلى الآن .

وهكذا يتضح لنا من خلال دراسة التجارب السابقة للمباني الأثرية التي أعيد استخدامها وتوظيفها في مدن عربية وإسلامية وعالمية يتضح من الآتي :-

١- إن المباني الأثرية التي أعيد استخدامها وتوظيفها بعد ترميمها في كل من مدينة صنعاء القديمة أو المدن العربية الأخرى تقع في قلب المدينة وعلى شوارع رئيسية يسهل الوصول إليها كما جعل الاستفادة من

أنشطة هذه الوظائف يمتد ويتسع ليشمل زائري المدينة القديمة .

٢- إن اختيار الوظائف التي وظفت فيها المباني الأثرية يمكن اعتبارها مناسبة مع طبيعة المبنى ومتوافقة أيضاً مع احتياجات المدينة .

٣- اختلفت أساليب التطبيق واختيار الوظيفة من مدينة إلى أخرى بل ومن دولة إلى أخرى وذلك ارتباطاً بالعمق التاريخي ، والعراقة الحضارية ، ففي المدن العربية والإسلامية كان التوظيف للمباني الأثرية موجهاً في الغالب إلى إحياء ما لهذه المدن من تراث ، وبالتالي كانت المسميات الغالبة للوظائف : متحفاً للآثار ،إحياء وتطوير الحرف التقليدية ، متحفاً للموروث الشعبي وعكس ذلك وافتقاداً للعمق التاريخي كانت مسميات

الوظائف في المدن العالمية غالباً : بنك ، فرع بنك ،شركة تجارية ، قاعات للمحاضرات...الخ،

٤- أمكانية استخدام المباني الأثرية في أكثر من وظيفة وذلك ارتباطاً بحجم المبنى ، تفاصيل فراغاته الداخلية، موقعه من المدينة .

٦. إحياء المباني الأثرية في مدينة إب القديمة

تتعرض المباني الأثرية في مدينة إب القديمة للإهمال نتيجة لفقدانها لوظيفتها التي بنيت من أجلها وذلك بسبب تغيير الظروف وطبيعة التطور ونتيجة لهذا الإهمال تتعرض المباني الأثرية للتلف والتساقط التدريجي فتفقد قيمتها كمباني أثرية كما فقدت من قبل قيمتها الوظيفية وغالب هذه المباني التي تتعرض لمثل هذه الظروف تكون مباني مدنية كالدور ، أو السماسر أو المدارس أو الأسواق أو مباني عسكرية كالأربطة وأبراج الحراسة (النوب) (محمود البناء ، المرجع السابق) .

وإحياء مثل هذه المباني يتضمن عنصرين أساسيين هما : الأول – وهو عمليات الترميم المطلوب إجراؤها بهدف الحفاظ على الشكل المعماري والفني للمباني الأثرية في مدينة إب القديمة ، والثاني – وهو توظيف المباني الأثرية في مدينة إب القديمة أما في وظيفتها الأصلية أو في وظيفة مشابهة أوفي وظيفة حديثة تحتاجها المدينة وتخدمها وأمثلة ذلك :-

٦. ١- وظائف مشابهة للوظيفة الأصلية :

أ- توظيف المدارس الإسلامية في مدينة إب القديمة التي أغلقت وتوقف استخدامها .

نتيجة الإهمال أو التي حولت إلى مباني سكنية ،إلى مدارس لتحفيظ القرآن الكريم للأطفال ساكني محيط هذه المدارس،وتحت أشراف الدولة ،ولاشك إن مثل هذه الوظائف إذا تم سيخدم المدارس الأثرية في مدينة إب القديمة بالرعاية والصيانة الدائمة لها . كما وأنه في نفس الوقت إحياء لوظيفة ومظهراً من مظاهر المجتمع الإسلامي أوشكت على الأفول في أغلب بلدان العالم العربي والإسلامي ، ومن جهة أخرى فإن هذا النوع من الاستخدام الديني لهذه المدارس يضفي قدسية خاصة عليها مما يجعلها بمنأى عن الإهمال أو الاعتداء عليها . (صورة رقم ٧) .

ب- توظيف بعض الدور الأثرية التي أهملت وهجرت مثل دار البيضاء ، دار الفرناج ، دار الملك ، دار

منير،وغيرها كفنادق ذو طابع خاص ، لكي يكونوا نواة لمشاريع استثمارية سياحية تخدم التوجهات السياحية للمحافظة ،وبذلك لا يتم فقط ترميم الدور الأثرية وصيانتها ولكن يتم إعادة استخدامها وتوظيفها في وظيفتها الأساسية التي أقيمت من أجلها . (صورة رقم ٨).

جـ – توظيف بعض المنازل والدور الأثرية في مدينة إب القديمة مثل دار الحمام ، دار الديدبان ، دار عقيل ،دار الغدر، وغيرها كسكن بشروط خاصة تضعها الجهة المنوط بالاشراف والحماية للمباني الأثرية ، مع ضرورة المتابعة المستمرة وهذا يسهم في التخفيف من مشكلة السكن التي تعاني منها مدينة إب بسبب الزيادة السكانية . (صورة رقم ٩).

٦. ٢- وظائف حديثة تتفق مع طابع مدينة إب القديمة وتخدمها

أ- توظيف السماسر الأثرية التي أغلقت نتيجة لفقدانها لوظيفتها بسبب استخدام وسائل حديثة في النقل وتوفر أماكن إقامة حديثة للتجار وزوار المدينة في وظائف حديثة مثل :-

متحف للموروث الشعبي – مركز للتدريب على الحرف التقليدية – مكتبة خاصة بالأطفال – مركز صحي أدارة المتابعة وصيانة الخدمات العامة (كهرباء، مياه، صرف صحي، وغيرها) ولاشك إن مثل هذه الوظائف سوف تخدم مدينة إب القديمة سواء في طابعها الحضاري – وحاجة المجتمع لها .(صورة رقم ١٠)

ب- توظيف السوق في مدينة إب القديمة كمعرض دائم لعرض منتجات الشركات والمصانع – معرضاً للحرف التقليدية القديمة – توكيلات سياحية – معارض للفنانين التشكيليين اليمنيين وغير اليمنيين وهذا التوظيف

يساعد على إحياء السوق الذي يعتبر أحد المعالم الأثرية البارزة في مدينة إب القديمة ليكون مصدر جذب لجميع الزائرين بعد إن كان مهجوراً بسبب نزوح التجار وأصحاب الحرف التقليدية إلى خارج أسوار مدينة إب القديمة . (صورة رقم ١١) .

٧. معايير وقواعد إعادة استخدام وتوظيف المباني الأثرية في مدينة إب القديمة

أن أعادة استخدام وتوظيف المباني الأثرية التي توقف استخدامها في مدينة إب القديمة غالباً ما يحتاج إلى أحداث بعض التعديلات والتغييرات أو قد تحتاج إلى تصميمات أضافية قد تحدث تشوهاً أو أضراراً بالمبنى الأثري المراد إعادة استخدامه وتوظيفه (محمود البناء ، المرجع السابق) لهذا ومن خلال ما أعطته الدراسات الميدانية لتجارب سابقة لمباني أثرية أعيد استخدامها وتوظيفها في أطار المدن العربية والإسلامية وخارج أطار هذه المدن ، وكذلك ما أشار إليه ميثاق فينسيا سنة ١٩٦٤م في فقرته رقم (٥) (I comos, 1966) فإنه يمكن وضع بعض المعايير والقواعد التي تنظم وتخدم عملية إعادة استخدام وتوظيف المباني الأثرية في مدينة إب القديمة وذلك كالتالي :

أ – إن أعادة استخدام المباني الأثرية وتوظيفها يجب إن تكون متوافقة مع طبيعة المبنى الأثري واحتياجات مدينة إب القديمة بقدر الإمكان وتخدم في مجال صيانتها .

ب – إن عملية إحياء المباني الأثرية في مدينة إب القديمة يجب إن تكون مرتبطة إلى حد كبير بنوع الوظيفة

المزمع أعداد المبنى الأثري من أجلها وبالتالي فإن أحداث أي تغيير بالمبنى سواء إزالة أو إضافة يكون أمراً مقبولاً على إن يكون ذلك في أطار متناسق مع طبيعة مدينة إب القديمة وتمثل في نفس الوقت طابعاً معاصراً .

جـ – إن لا يترتب على الوظيفة الجديدة أي تعديلات بتخطيط المبنى الأثري فيما عدا المستلزمات الضرورية جداً كدورات المياه وشبكات الكهرباء والمياه والصرف الصحي على إن لا تكون مشوه للمبنى الأثري وإذا ما تطلبت الوظيفة الجديدة شيئاً من الأثاث والتجهيزات الداخلية فيجب إن تكون في أضيق الحدود وأكثر بساطة وسهلة النقل وقت اللزوم .

د – يجب اختيار الوظيفة المناسبة للمبنى الأثري من حيث فراغاته وموقعه ويفضل إن يكون المبنى الأثري المختار في قلب مدينة إب القديمة أو بالقرب من شوارعها الرئيسية .

هـ – إن لا ينتج عن اختيار الوظيفة المناسبة أي أثار جانبية تؤثر على المبنى الأثري أو محيطه سلباً كأن تكون في شكل ملوثات بيئية أو تسرب مياه أو استخدام وسائل ثقيلة تسبب اهتزاز للمبنى الأثري وتلف لمواد البناء ، وتشويه للمنظر العام لمدينة إب القديمة .

و – يجب إن يكون اختيار الوظيفة للمبنى الأثري سواء المتشابهة أو الجديدة قائماً في أحد عناصرها الرئيسية على ما تمثله من عائد اجتماعي أو ثقافي أو اقتصادي لساكني مدينة إب القديمة بشكل خاص ومحافظة إب بشكل عام .

٨- الخاتمة

لقد سبقت الإشارة إلى إن مدينة إب القديمة تحتفظ بتراث معماري وحضاري كبير يتمثل في ما تحتويه من مباني أثرية وتراث معماري فريد ومتميز تناقلته الأجيال عبر العصور وحتى الوقت الحاضر ولكن هذا التراث تعرض في مجمله إلى حالة من التدهور والتساقط التدريجي نتيجة الإهمال ففقدت المباني الأثرية قيمتها الأثرية كما فقدت من قبل قيمتها الوظيفية لذا كان لابد من المناداة بصناعة الحفاظ على المباني الأثرية التي تشكل في مجملها تراثاً معمارياً وتاريخياً فريداً وصولاً إلى حقائق التطور الحضاري والمعماري والتراثي والبشري والبيئي ، وتعتبر عملية إعادة استخدام المباني الأثرية التي توقف استخدامها في مدينة إب القديمة وتوظيفها من الأهمية بمكان سواء للمباني الأثرية ذاتها أو للبيئة المحيطة بها أو للطابع العام لمدينة إب القديمة ففيما يتعلق بالمباني الأثرية ذاتها فيتضح إن عملية أعادة الاستخدام والتوظيف يضمن إلى حد كبير الصيانة والعناية الدائمة والمستمرة للمباني الأثرية ، وعدم استخدامها يشكل خطراً حقيقياً عليها وعلى الطابع العام لمدينة إب القديمة لأن إهمال أحد المباني الأثرية هو فقدان لأحد عناصر المدينة وبالتالي فقدانها لهويتها التي تميزت بها كما إن إحياء المباني الأثرية في مدينة إب القديمة وتوظيفها باستخداماتها المماثلة أو الجديدة سوف يعطي حياة للمباني الأثرية ويجعلها أكثر جاذبية وتصبح أكثر رواجاً بعد إن كانت عبارة عن مباني مهملة ومهجورة . لذا فإن أحيائها وتأهيلها هو أجراء ضروري يتناسب مع القيمة الحضارية للمكان والقيمة الاقتصادية للزمان ومن هنا فإن الاهتمام بالتراث من أهم متطلبات التنمية والعمران في مدينة إب القديمة

وتمثل أولوية حضارية لأي سياسة تنموية جادة . لذا توصي هذه الدراسة بضرورة إحياء وتأهيل المباني الأثرية التي توقف استخدامها في مدينة إب القديمة لماله من مردود بيئي واجتماعي وعمراني فضلاً عن المردود الاقتصادي ، المتوقع مستقبلاً من زيادة الجذب السياحي وما يصاحبه من أنشطة اقتصادية ، وزيادة فرص العمل وتحسين إمكانيات العيش في محيط المباني الأثرية. كما توصي الدراسة أيضاً الجهات المختصة والجهات ذات العلاقة بأن تتفاعل مع المباني الأثرية في مدينة إب القديمة كقضية ومسئولية وطنية جديرة بالاهتمام الحالي والمستقبلي ، وأن تعمل على وضع الخطط والبرامج التي من شأنها تحقيق تنمية مستدامة للمباني الأثرية في مدينة إب القديمة .

المراجع :

١- إبراهيم ، د . عبد الباقي : المدخل للارتقاء بالبيئة العمرانية ، إعداد مركز الدراسات التخطيطية والمعمارية ، دار الشروق القاهرة . ط ١ ، ١٩٨٦م .

٢- الأدهمي ، د . محمد مظفر ، مدينة إب في كتاب الرحالة العرب والأجانب ، رسالة الجامعة ،العدد (٢٤، ٢٥،جامعة إب ، يناير، فبراير ، ٢٠٠٦م).

٣- الجواهره ، د. هاني بن محمد : العمارة في المملكة العربية السعودية قراءة نقدية لإبراز الاتجاهات المعمارية في المملكة – جامعة الملك فيصل ، الرياض ١٤٢٣هـ .

٤- الخليفي ، محمد جاسم : العمارة التقليدية في قطر،الدوحة.١٩٩٠م

٥- السيد أبو محمد ، د . حسين : أعادة توظيف المباني الأثرية والارتقاء بالبيئة المحيطة لها (التجربة التركية) مجلة عالم البناء ، العدد ٢١٠، ٢١١، أبريل ١٩٩٩م .

٦- العفيفي ، د. حكيم : 'إعادة استخدام الآثار الإسلامية بالقاهرة مرة أخرى لخدمة المجتمع المجلة المعمارية – جمعية المهندسين المعماريين – السنة الثانية ، العدد الخامس ، القاهرة ، ١٩٨٤م .

٧- الموسوعة اليمنية : المجلد الأول ، الطبعة الثانية ، إصدار مؤسسة العفيف ، صنعاء ،٢٠٠٣م .

٨- الموسوعة اليمنية : المجلد الثاني ، الطبعة الثانية ، إصدار مؤسسة العفيف ، صنعاء ،٢٠٠٣م .

٩- ديوب ، د. طالب : تاريخ العمارة – العمارة في العصور الوسطى
والعمارة الإسلامية الأوروبية ، جامعة البعث – سوريا ٢٠٠١/ ٢٠٠٢م.

١٠- صالح لمعي ، د. مصطفى : تجارب العمارة العربية ، المجلة
العربية الثقافية العدد (٣) ، سبتمبر ١٩٩٢م .

١١- عبد الحميد ، د. حسام الدين : الأسس والقواعد التي تنظم عمليات ترميم الآثار . مجلة كلية الآثار جامعة القاهرة ، العدد الثالث ١٩٨٩م .

١٢- محمود البناء ، د. سعيد : دراسة ترميم وصيانة مدينة صنعاء القديمة من العصر العثماني رسالة دكتوراه ، كلية الآثار جامعة القاهرة ١٩٩٣م .

١٣- محمد إبراهيم ، د. حازم : الارتقاء بالمناطق التاريخية . إعداد مركز الدراسات التخطيطية

والمعمارية . دار الشروق القاهرة . ط١ ، ١٩٨٦م .

14 - Diether.Wldman , Renewal of towns by Preservation and integration of historical monuments and histarical valuable " international committe of Historic towns " and villager icomos, 1993.

15 - international charter. For . the conservation and Restoration at monuments and Sites I comoc . 1966- 1 Article, 5 .

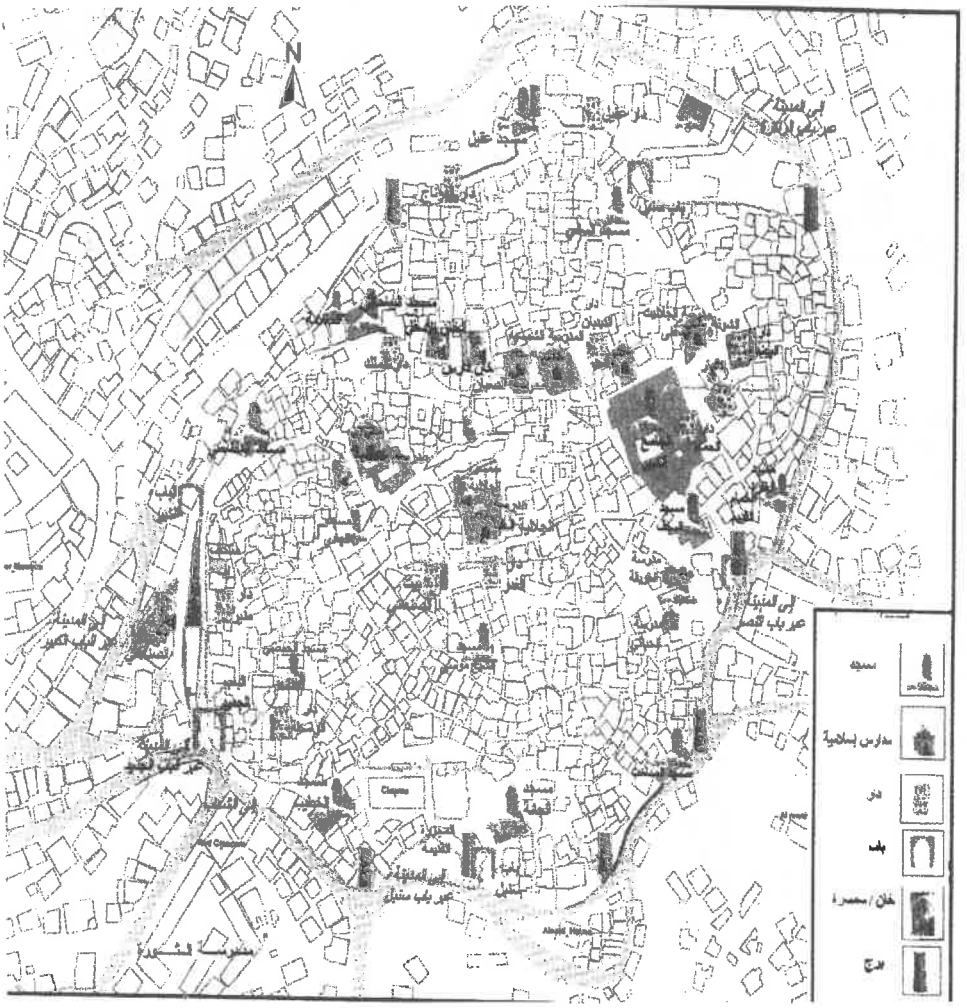

- **شكل رقم (١) خريطة توضح المعالم الأثرية لمدينة إب القديمة**

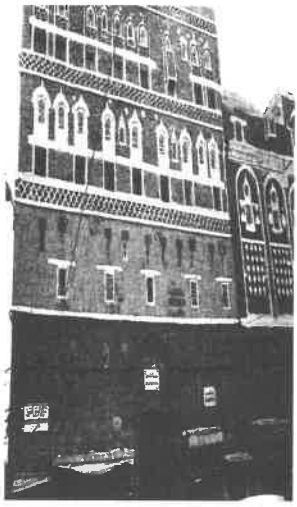

صورة رقم (١) سمسرة المنصورة

صورة رقم (٢) سمسرة النحاس

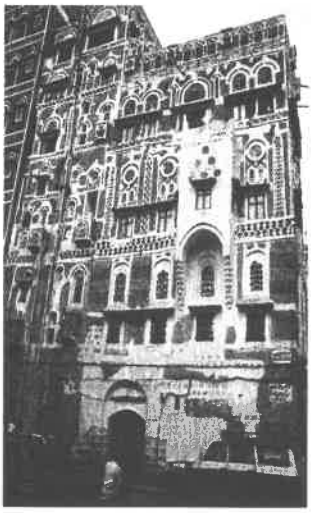

صورة رقم (٣) بيت مطهر

صورة رقم (٤) دار الحجر

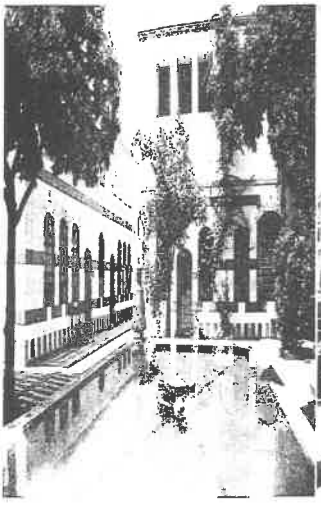

صورة رقم (٥) قصر العظم

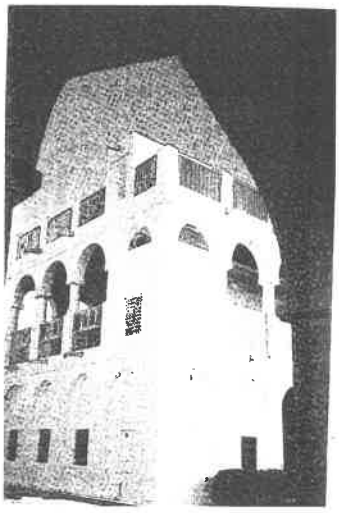

صورة رقم (٦) القصر القديم

- المباني الأثرية التي أعيد استخدامها وتوظيفها بعد ترميمها في مدن يمنية وعربية وإسلامية

صورة رقم (٧) مدرسة الجلالية

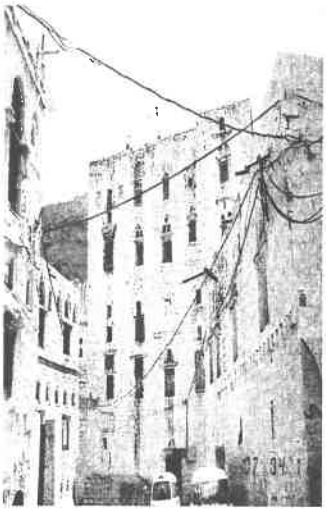

صورة رقم (٨) دار البيضاء

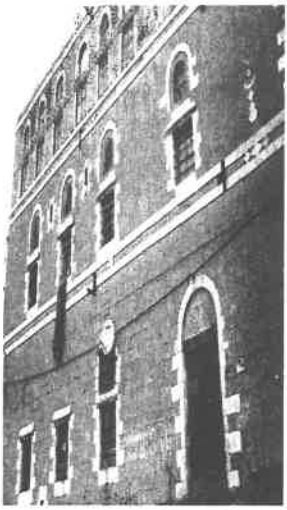

صورة رقم (٩) دار منير

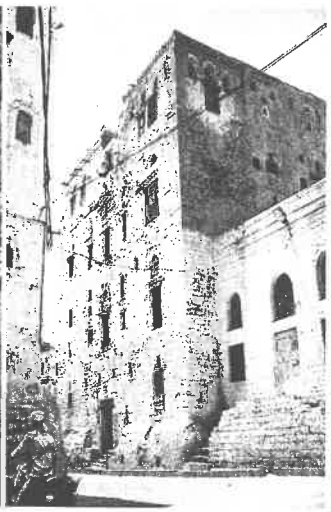

صورة رقم (١٠) دار الحمام

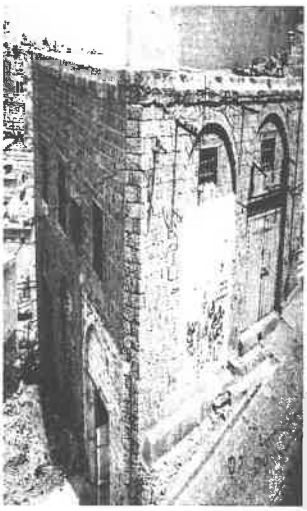

صورة رقم (١١) السمسرة

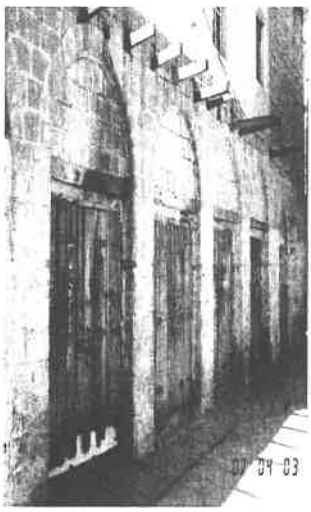

صورة رقم (١٢) السوق

- المباني الأثرية التي يمكن إعادة استخدامها وتوظيفها بعد ترميمها بما يخدم احتياجات مدينة إب القديمة